على عادتها ككل سنة، اختارت لجنة احياء ذكرى الرئيس الراحل الياس هراوي شخصية لبنانية لتركيمها ومنحها الجائزة السنوية. المحتفى به هذه السنة كان الوزير السابق ميشال اده (الرئيس الفخري لجمعية اعضاء جوقة الشرف– فرع لبنان) والذي أسندت اليه الجائزة بإجماع اعضاء اللجنة، وذلك تحية لمسيرته السياسية النبيلة ولدوره الوطني الميثاقي.

الاحتفال اقيم في دارة الرئيس الراحل في بعبدا، في حضور السيدة الاولى وفاء سليمان ممثلة رئيس الجمهورية ميشال سليمان، والنائب عبد اللطيف الزين ممثلا رئيس مجلس النواب نبيه بري، ووزير الاقتصاد في حكومة تصريف الاعمال نقولا نحاس ممثلا رئيس مجلس الوزراء المستقيل نجيب ميقاتي، والرئيس المكلف تمام سلام، والبطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي والكاردينال مار نصرالله بطرس صفير، وعدد من الوزراء والنواب الحاليين والسابقين وشخصيات سياسية واجتماعية.

كلمة كميل منسى

بداية، تحدث "زميل" الوزير السابق اده، الاعلامي كميل منسى الذي استذكر محطات عديدة كان خلالها الى جانب زميله لاكثر من ٤٠ عاماً، وعدد بعض الصفات والمزايا الشخصية التي عرفها فيه طوال تلك الفترة. وقال:

صعب أن أتحدث عن ميشال إده، الذي عملت معه طوال اربعين سنةً، من غير أن انساق الى كلام عاطفي . لقد أسعدني الحظ بالتعرف اليه ثم بمرافقته في وزارة الاعلام وفي جريدة الأوريان- لوجور ونشأت بيننا مودّة لم تنل منها السنون .

من أجدر من ميشال إده بجائزة الرئيس الياس الهراوي التي تحمل اسم "جائزة لبنان الميثاق"، فهو الميثاقي الامثل الذي طالما عمل بوحي من المبادىء التي قامت عليها الشرعة التي كانت في اساس وجود لبنان الحديث، من عدالة ومساواة وتكافؤ للفرص في ظل نظام ديموقراطي برلماني.

نشأته المسيحية قادته الى التعمق بالدين، فاستحق لقب "عميد الايمان" و" ذخيرة الموارنة". وبحثه عن العدالة قاده الى التعمق بالماركسية فعرف الشيوعية عن ظهرغيب وعرف بميوله الاشتراكية ، فلقبه البعض "الماروني الأحمر" ثم "المليونير الأحمر".

منطلقاً من المحاماة، دخل السياسة من غير ان يكون دخيلاً عليها، فقد مارسها آل إده منذ أجيال. والطائفة المارونية عرفت رعاية العائلة لها منذ القدم. السلطان عبد الحميد منح جده لقب الافندية يوم تعيينه ترجماناً لولاية بيروت عام 1888، وجدّه لأمه انطوان بك ملحمه بنى مع منصور إده والدُ جده كاتدرائية مار جرجس للموارنة في وسط بيروت.

طرح اسمه أكثر من مرة لرئاسة الجمهورية ، لكن الظروف حالت دون وصوله اليها. تولى الوزارة خمس مرّات ، فأبلى بلاءً حسناً لأنه جاء ليعطي لا ليأخذ. عرضت عليه حاكمية مصرف لبنان والسفارة في باريس، فامتنع عن قبولهما لعدم رغبته في العمل في الادارة.

لم يطرق ميشال إده باب السياسة سعياً الى جاه يملكه، ولا إلى ثروة لا تعوزه، وانما فعل عن اقتناع وايمان بلبنان الوطن وعن استعداد للخدمة . من هنا حرصه على الميثاق ونضاله من اجل صونه عبر المواقف السياسية والاعمال الاجتماعية صوناً لوحدة أبناء الوطن الذين هم في نهاية المطاف حرّاس الميثاق.

رجل سياسة لكنه قبل ذلك رجل فكر وثقافة ومعرفة. يتنقل مرتاحاً - ولا أمتع من تنقّل العارف - بين موضوعات لا يمكن أن يجمعها أحد سواه. من التاريخ في أدق تفاصيله، الى الدين في أعمق معارجه. وفي طليعة الاديان طبعاً المسيحية التي هي منطلق فكره واعماله ، وفي طليعة المسيحية طبعاً

طبعاً المارونية التي هي في طليعة اهتماماته الرئيسية. الى الديموقراطية والنظام الاقتصادي الحر والشيوعية التي عندما يتحدث عنها تخاله تلميذ ماركس او لينين، ناهيك بالصهيونية التي لم ينفك يوماً شأن ميشال شيحا عن التحذير من مخاطرها. على أن اهتماماته هذه لم تمنع كونه ذوّاقة فن ، من الرسم وهو من هواة جمع اللوحات الى الطهي، ومائدته من الأشهى في لبنان ، مروراً بهواية جمع العملات القديمة وسواها.

لكن ميشال إده يرى ان الانسان في حاجة الى الايمان وليس فقط الى المعرفة كي يعطي معنى لحياته. أفضل ما قيل عن ايمانه ما كتبه المطران جورج خضر في جريدة "النهار" عام 1995 تحت عنوان " مجد هذا العالم". قال: " لم اتوقع تعزية كتلك التي حلّت عليّ يوم أمس، حيث جمعني عشاء الى رجل مرموق ذي يُسر كبير. لم أسمع حديثاً عن المسيح عذباً كحديثه. وأهم ما رآه في السيد ان انجيله كتب للفقراء، وانهم هم جماعته. وعرفت ان هذا الرجل عاش طويلاً خارج الايمان، ولمست انه عاد اليه عودة الاطفال. والرجل على قدر من الثقافة كبير ويجول بين الاغنياء ولم يحترق. أدركت انذاك ان هذا العلماني أقوى مني ايماناً بفاعلية المسيح اذ لم يكن يضيف اليه ثقافة ولا مالا. وفهمت ان المعلم يكمن في قلوب لا نعرفها، وانه ذو شفافية ليست دائماً متوافرة عند الائمة الذين انا منهم، وفق ترتيب هذا العالم." انتهى كلام المطران خضر.

ميشال اده من نوع الرجال الصالحين الذي يحتمي بهم الدين لانه شاهد له، لا يحتمي هو به بحثاً عن امتياز.

مساعدة الاخر من مبادئه، ولن استرسل في الامر لانه يحرص على عدم الخوض فيه، وابناؤه يسيرون على خطاه. انما اكتفي بالاشارة الى "مطاعم المحبة " التي هو في اساسها والى رعاية بعض الحالات الخاصة والى المساعدات الاجتماعية التي يوزعها على من هم في حاجة اليها دون تمييز.

شخصيته ولا أمتع. الود يشع من وجهه عندما يستقبلك والاعجاب بسعة ثقافته يتملكك عندما يحدثك وطريقة مخاطبته اياك تجعلك تشعر انه أقرب الناس اليك. وعندما تودعه تكاد تكون على يقين ان اسماً جديداً بات في صدارة لائحة الاصدقاء.

العمل معه متعة. مررنا بازمات وحروب يوم كان هو وزيراً للاعلام وانا مديراً لبرامج الاذاعة اللبنانية واخبار التلفزيون والبرامج السياسية فيه. كما مررنا في الاوريان – لوجور بسنوات عجاف كان ميشال إده دائماً يشد من العزائم ويرفع المعنويات. رجل يضج بالحياة، ذو ذاكرة وسرعة نادرة في الاستيعاب والحفظ كذلك ذو نكتة ودعابة، يحب الناس والمرح. يؤمن بالفرح ويسعى الى نشره من حوله. في الوقت ذاته هو متعب لا يتعب، لا يعرف السكينة ولا يتيح لغيره ان يعرفها. ربما لانه كل ذلك، تعبه.

ميشال اده رجل ميثاقي، يجمع ويرعى ويسهر على مختلف الصعد الوطنية والاجتماعية والانسانية.

آخال الرئيس الياس الهروي من عليائه يقول لرئيسة لجنة جائزته والاعضاء: بورك إختياركم ميشال إده . مستحق مستحق .

كلمة القاضي الحلبي

ثم تحدث القاضي عباس الحلبي عما يختزنه الوزير اده من ميراث تاريخي عريق، ومن خصال يندر ان يكتنزها اشخاص، ومن مواقف جعلت منه رجل الاعتدال والموقف، الحوار والمصالحة، والوفاق والميثاقية. وقال:

ان تكون متحدثاً في مناسبة منح جائزة الرئيس الياس هراوي إلى الوزير السابق ميشال اده يجعلني متهيباً الموقف لأننا في حضرة التاريخ والحاضر والمستقبل. إذ يندر أن يكتنـــز شخص تاريخ الجماعة في شخصه وإرث الجماعة في فكره وتجارب الجماعة في قلمه. كما يندر أن تجتمع فيه مزايا وقيم طبعت حياة المسيحيين كما سطر ميشال اده مسيرته في حاضرهم وفي لبنان. أما المستقبل فله فيه منذ الآن سطوراً مضيئة ومسارات منيرة يصعب أن يتجاوزها الزمان وهي كلها في حضن الوفاء والسخاء والمروءة.

ان يتحدث عنك من هو ليس من طائفتك، ولك مع طائفته صولات وجولات، ورعاية ومبادرات فإنه لعمري مشترك جامع في حضرة لبنان. إذ أن إبقاء الحديث عن المكرّم في نطاق الطائفة هو تصغير لدوره وأدائه، وأسره في الانتماء الأولي، فإنه تقليل أيضاً من شأن هذا الرجل الذي طبع الحياة السياسية بأسلوبه الهادئ، مدخلاً عليها القيم والفكر، معتبراً أنها فعلاً إدارة الخير العام، وليس التجاذب والتباين والخصام وعلاقات النفوذ. لم ينس أن لبنان فكرة قبل أن يكون دولة، وقيمة قبل أن يكون سلطة، ومعنى قبل أن يكون سياسة. فكم من المرات قرأت له حرصه على الصيغة اللبنانية وعلى الوحدة الوطنية وعلى حفظ التنوّع والخصوصية؟ كم مرة شدد في أقواله وأفعاله على أن النموذج اللبناني هو الحل، ليحد من عصبيات الطوائف إذا أُحسن إدارته والحل لمشاكل الأقليات إذا سعى إلى تحقيق المواطنة وعمادها المساواة والعدالة. كم مرة كتب وحاضر وألّف دون أن يخرج من مارونيّته التي ناضل في هيئاتها ومجالسها وروابطها، ليعلي شأن هذه الصيغة منبهاً من خاضوا تجارب الحروب لتحقيق الغلبة أن الحل هو في الحوار، مبشراً بأن لبنان يتسع لجميع أبنائه وأن الكيان اللبناني ليس مصطنعاً ولا عابراً، مسترشداً بالتاريخ ومحطاته المضيئة الناقضة لبعض الحسابات، فالديموقراطية هي حق الإختلاف والطائفية السياسية هي تمثيل العائلات الروحية وإنها خلافاً لادعاء البعض في لبنان الحل في المجتمعات غير المتجانسة.

أما الجماعة فلها دور وسعي للجمع لا للتفرقة، للاعتدال لا للتطرف، مركزاً على دور الآباء الأوائل الذي مدّوا يدهم إلى المسلمين لضمان تقدمهم، وإرساء العلاقات الإسلامية المسيحية عبر التاريخ بالكلمة السواء. فالمسيحيون ليسوا حصصاً للتقاسم، ولا عناصر للاستقواء، بل هم ضامنو معنى لبنان المتعدد وقيمة لبنان الواحد؛ إذا تاهوا عن هذه المهمة فقدوا الدور الذي هو أهم من الوجود.

وبيزنطيا لها في وجدانه المكان الأرحب معتزاً بالتاريخ معتبراً من التجارب لئلا يقع الأبناء حيث تعثر الآباء، حريص على وحدة المسيحيين وعلى حفظ دورهم. فالثلاثاء مشؤوم لأن القسطنطينية سقطت فيه فلا موعد ولا التزام وربما لا خروج من البيت بل تفكر بما آلت إليه أحوال الجماعة بعد السقوط المريع. ومئات السنوات تمر فلا تبرح من فكره ولا من عقله ناظراً برأفة على حال الجماعة هذه الأيام. فمركز الرئاسة لا يستحق الصراع. ولو كان دوماً للكفاءة يعطى، وللتاريخ يوفى، وللإخلاص، لتبوأه بنجاح وامتياز. إلا أن المناورات والمداخلات تغير الحال بين طرفة عين وانتباهتها.

أما المنتشرون فليس بدافع الطائفية يسعى وراءهم، باذلاً المال والجهد والعتاد؛ بل حفظاً لخصوصية لبنان، لأنه يستحق بنظره العناء، فهو ليس اوتيلاً نلجأ إليه للسياحة، بل هو وطن نهائي لا قيمة للجماعة خارجه، وإن تكاثر عددها في بلاد الانتشار. فالأصل هنا، وهنا الكلمة الفصل. هذا دون أن ينتقص ذلك البتة من حرص المكرّم على الإنتشار الماروني، بل عمله الدؤوب لتعزيزه، بما يعزّز جناحي لبنان المقيم والمغترب كي يحلق ويطير كالفينيق.

أيها المكرم وحائز الجائزة عن استحقاق،

التزامُك تاريخ المسيحيين واعتبارك إياهم مكوناً أصلياً وأساسياً في تكوين هذه الأمة والمنطقة جعلك مختصاً بدراسة الأخطار. قلما يصدف ان تخصص أحد مثلك باجتهادك وإطلاعك عن تاريخ اليهود والصهيونية وإسرائيل. لم تكن اللغة العبرية عائقاً، فمن يتقن العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية والسريانية، وربما أكثر، لا يجد صعوبة في بحث تاريخ هؤلاء حتى بلغتهم.

فكشفت المؤامرات، ولم تتوقف عندها، بل نبّهت وألّفت ونشرت وسخّرت صحيفتك (l'Orient le Jour) وما تعبت، في توعية الناس على أخطارهم، على الأمة والمنطقة وعلى لبنان. كنت من السباقين في هذا المجال، ميشال شيحا قبلك وسواه، ولكنك اقرنت الكتابة بالفعل، والعمل بالنضال، فتحية لك على ما أنجزت وحققت.

أما الجائزة، فإنها تعطى لمن حفظ الميثاق، وعمل على الوحدة الوطنية، وسعى إلى إعلاء شأن الدولة، ومناهضة الدويلات. رافقت من حملت هذه الجائزة إسمه، الرئيس الياس هراوي، الذي جاهد لإعادة بناء الدولة. ظروفه كانت صعبة، وأحياناً مستحيلة، لكنه آمن بلبنان واستقلاله وسيادته وبقراره الحر، وبأن الشعب اللبناني هو وحدة لا تتجزأ، مركزاً على دور المسيحيين، دون إنكار دور المسلمين، لأن لبنان لا ينهض إلا بهذه الوحدة. فمن كان مثلك، عاملاً ساعياً مناضلاً لإعلاء العهد الميثاقي بين اللبنانيين، هو مستحق للجائزة التي اليوم، تفخر بك وتكبر بك. ولا بد لي من القول، بأن المؤتمنة على إرث الرئيس الراحل ومطلقة جائزته السيدة منى، تكبر فيك دورك وتأثيرك، وتفخر مثلنا أعضاء اللجنة فرداً فرداً، بأننا عشنا زماناً أنت فيه رائد، في المصالحة مشاركين في قرار منحها إليك، فأنت مستحق الجائزة، متمنياً لك العمر الطويل، والصحة العامرة بالعافية والنشاط، لكي تستمر في مسيرتك، مثلُك تحلو له الحياة ويستحقها، لأنك ضمانة في وقت عزت الضمانات وبركة في ظرف غابت البركات، ورجل دولة في وقت التهى السياسيون بالمحاصصة والمقاسمة وتحقيق الغلبة. أنت رجل الاعتدال والموقف. أنت رجل الحوار والمصالحة. أنت رجل الوفاق والميثاق. رعاية فخامة الرئيس وحضور اللبنانية الأولى وغبطة الكاردينال البطريرك الراعي والكاردينال صفير وسائر الشخصيات الكريمة مثال على رفعة تكريمك، فهنيئاً لك الجائزة، وهنيئاً للجائزة بك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيدة هراوي

وبعدها، تحدثت رئيسة لجنة جائزة الياس هراوي، السيدة منى هراوي. وتوقفت عند العديد من الميزات التي يجمعها الوزير السابق اده في شخصه، فهور رجل العطاء دون شروط، وهو الحكيم المعتدل في التعامل مع مختلف القضايا.
وجاء في كلمتها:

حضرة اللبنانية الأولى السيدة وفاء سليمان، ممثلة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد ميشال سليمان،

سعادة النائب عبد الطيف الزين، ممثل دولة رئيس مجلس النواب الأستاذ نبيه بري،

معالي الوزير نقولا نحاس، ممثل دولة الرئيس نجيب ميقاتي،

دولة الرئيس المكلّف الأستاذ تمام سلام،

صاحب الغبطة والنيافة البطريرك مار بشارة بطرس الراعي،

صاحب الغبطة والنيافة البطريرك مار نصرالله بطرس صفير،

أصحاب الدولة والمعالي والسعادة والسيادة،

أيها الأصدقاء،

يسعدني أن أرحب بكم في دارة الرئيس الياس الهراوي، وأشكر لكم من كل قلبي حضوركم للمشاركة في إحياء الذكرى السابعة لغياب الرئيس عبر منح جائزته السنوية الى عَلَمٍ آخرٍ من لبنان، تكبُرُ به الجائزة مرةً جديدة، بعد أن مُنحت في الاعوام السابقة الى كبار من بلادنا، آمنوا بالميثاق الوطني وروح العيش المشترك وتميزوا بالواقعية الحكيمة والفكر المتبصّر.

فبعد البروفسور انطوان مسرّة، والدكتور حسن الرفاعي والأستاذ غسان تويني رحمه الله، وبعد غبطة البطريرك صفير ومعالي الاستاذ فؤاد بطرس ودولة الرئيس نبيه بري، أجمعت لجنة إحياء ذكرى الرئيس على أن تُسنَد الجائزة للعام ٢٠١٣ الى معالي الاستاذ ميشال إدّه، تحيةً لمسيرته السياسية النبيلة ولدوره الوطني الميثاقي.

ولقد حَرصتُ شخصياً على أن تُمنح الجائزة لهذا العام في هذا المكان بالذات، لاسيما وأن المحتفى به اليوم هو إنسان كبير غالٍ على قلوب الجميع، صديق قديم تردّد الى هذه الدار وجالس فيها الرئيس الراحل الذي كان يكنّ له الكثير من المودّة والتقدير.

أيها الاصدقاء،

قيل الكثير في شخص ميشال إدّه المثقف الكبير، رجل القانون والحق، ذات القلب الكبير والإحساس المرهف بالقضايا الإجتماعية، إذ أن تعاطفه معها لا يُخفى على أحد، بالرغم من تواضعه المطلق في هذا المجال.

قيل الكثير في ميشال إدّه إبن العائلة البورجوازية العريقة ورجل الأعمال الناجح الذي لُقبَ "بالبطريك الأحمر" لتحسسه المشاكل المعيشية في المجتمع ودعمه ومساندته القوى الحيّة في الميدان الثقافي والفني والفئات الشعبية الأكثر حاجة.

هو رجل العطاء، عطاؤه إنساني للتربية والثقافة والعمل المدني والمسكوني وللصالح العام، ودائماً بدون شروط بالثبات والتضحية وروحيّة المحبة.

جاء الى الحكومات ليعطي لا ليأخذ، وعمل غالباً في مكاتبه الخاصة بدون إمكانات من المال العام.

وُلدت وزارة الثقافة والتعليم العالي عن يده في حكومة ١٩٩٢، ورسم لها شخصياً أولى خُطاها وسياستها وأدار بحكمة "المتنور" أصعب الملفات متبِعاً نهجاً عقلانياً ديموقراطياً، موسعاً دائرة المشاركة لتشمل الإختصاصيين والمسؤولين في مختلف القطاعات.

تميّز بحكمته واعتداله في التعاطي مع مختلف القضايا ومن أهمها قضية الإنتماء والهوية وقضية الحريات والتعددية الثقافية والإنفتاح على المنطقة والعالم مع الحرص على التشبّث بالأرض اللبنانية واستكشاف التراث الثمين الذي تختزنه هذه الأرض، والمحافظة على ذاكرتها الإنسانية، ذاكرة الصمود والحضارة.

وفي هذا المجال، حق ميشال إدّه عليّ شخصياً بالشهادة كوني تعاطيت معه من خلال مسؤوليتي في المؤسسة الوطنية للتراث التي يشرفنا أن يكون مُكرّمنا رُكنٌ أساسيٌّ في مَجلس إدارتها، لذا تحملني الأمانة على الشهادة لهذا الإنسان الكريم بفكره وعقله وقلبه والذي ما تخلّف يوماً عن دعم أي مشروع تراثي، فني، ثقافي أو انساني كَلَّمتُه عَنه أو تعاونّا من أجل إنجازه.

أمَّا بالنسبةِ لمسيرتهِ السياسية النبيلة ولِنضاله من أجل إرساء قيم الجمهورية وقيم لبنان الرسالة، فقد قِيلَ الكثير ولَيْس يُوفى حَقُّه، لأن شخصيته تحمل عدة مفارقات، ومواقفه علامات فارقة تصل ما يُقطع فتُشكّل همزةَ وصلٍ، جسراً أو معبراً في لحظات مصيرية من تاريخ لبنان.

وكم نحن بحاجة إليه اليوم، أطال الله بعمره، في هذه المرحلة الصعبة التي ما عدنا نُميّزُ بين ربيعها والخريف، وسط الأعاصير والضباب والدخان الذي يتصاعد من المنطقة ويهدّد الوطن.

كم نحن بحاجة له ولكبار رجالات لبنان في زمن نشهد فيه تدهوراً في قيم الجمهورية وانفصاماً بين شعار الوحدة الوطنية وواقع الإستقواء والإستتباع والخروج عن ثقافة المواثيق.

هو الماروني المتعلّق بمارونيته وبالكيان اللبناني والمنفتح على العروبة وعلى قضية فلسطين. عمل من خلال تعاطيه مع الشأن العام وترأسه الرابطة المارونية والمؤسسة المارونية العالمية للإنتشار على تعزيز ارتباط الموارنة بلبنان والتزامهم العيش المشترك، كما عمل في كل مفصل من مفاصل حياته السياسية على تفعيل الحوار المسيحي الإسلامي وإرساء الوحدة الوطنية المتنورة والسلم الاهلي المبني على قبول الإختلاف ورفض العنف كلاماً وفعلاً واحترام الحريات وصونها.

مارونية ميشال إدّه لكل لبنان، لا تُختَزل بطائفة ودين بل تضمُّ كل لبنان، لبنان الكبير، وطن المواثيق والدور والرسالة والتجربة ذات البعد العالمي.

ميشال إدّه هو من الكبار الذين طبعوا تاريخ بلادنا، له في قلبي مكانة خاصة لا يَجهلها، وأخشى إن قلت فيه أكثر أن أجْرَحَ تواضُعَهُ، لذا أكتفي بأن أختُمَ بما بدأتُ به: أيها الصديق الكبير، جائزة الرئيس الياس الهراوي تكبر بك اليوم.

فهنيئاً لك ولنا هذا التكريم الجديد، حفظك الله وألف مبروك.

الوزير اده

وفي الختام، القى المحتفى به كلمة بدأها بالشكر لمنحه الجائزة، مشدداً على ابرز ما تميز به عهد الرئيس الراحل هراوي الذي وصفه بـ"رئيس العبور بلبنان من الدويلات الى الدولة". وعدد الوزير اده بعض الانجازات التي شهدها عهد الرئيس الراحل على اكثر من صعيد.

وقال:

الصديقة العزيزة السيدة منى،

أيّها الأصدقاء،

بادرتكم هذه أعتزّ بها أيّما اعتزاز. ولكم بالغ الامتنان والشكر. وإنّها لحظة تغمرني ببهجة لها عَبَقها الخاص. كيف لا ؟ وهي تعيدني الى وصل ما لم ينقطع أصلاً مع الصديق الراحل الرئيس الياس هراوي، رئيس العبور بلبنان من الدويلات الى الدولة. رئيس تميّز، بحقّ، باتّخاذ القرارات الستراتيجية الشجاعة، وبالإقدام المتبصّر، الدؤوب، المثابر على تنفيذها.

أمّا استذكار سيرة عهده وروايتها، فهي هي استذكار الشجاعة المتمثلة بإقدامه على مبادرات تأسيسية الطابع، تاريخية الأبعاد، بعد أن كان لبنان، دولةً ووطناً، شِيَعاً مخلّعة في مهبّ الريح.

فمن توحيد الوطن. الى استعادة وحدة الدولة والشرعية، وإعادة بناء مؤسساتها. الى توحيد الجيش. الى حلّ الميليشيات. الى إطلاق ومتابعة عملية عودة المهجّرين. الى منع إعادة تمدّد الفصائل الفلسطينية، ووضع الحدّ لتجاوزاتها، بما يكرّس حضور الدولة التي لا تقبل لسيادتها انتهاكاً أو تقاسماً. الى وقف المسيرة الى دهاليز الملاجئ وسراديب الموت، بل تعبيد الطريق وتعزيزها أمام مسيرة السلم الأهلي والحياة. الى بناء الأسس للعافية الاقتصادية. الى صمود لبنان، كل لبنان، رغم كل محاولات اسرائيل المتكررة لإسقاطه وفرض الاستسلام عليه باجتياحاتها المتكررة، وبمشاريع الفتن التي لم تكفّ عن زرعها، وبتدمير بناه التحتية مرّات ومرّات. وهو الصمود الذي على قاعدته، وعلى قاعدة «تفاهم نيسان» عام ١٩٩٦ الذي فُرِضَ فرضاً على إسرائيل، تتوّجت أعمال المقاومة البطلة بالانتصار التاريخي المبين للبنان وللعرب بدحر الاحتلال الاسرائيلي في ٢٥ أيار ٢٠٠٠ .

على أساس هذه الإنجازات، حقّ للبنانيين فعلاً أن يعترفوا للرئيس الياس الهراوي – وأن يعتزّوا معه – بأنّه استلم لبنان أشلاءً، وسلّمه جسماً تدبّ في أوصاله الحياة. وكم بدا مرتاح الضمير عندما أكّد في رسالته الوداعية إليهم عبارته الشهيرة : «تسلّمت وطنا من الماضي وأسلّم وطناً يمشي نحو المستقبل».

في طريقه الى هذا المستقبل، مدّ الرئيس الهراوي يده الى الجميع، بمن فيهم الخارجون على الشرعية، من أجل التعاون على إنقاذ الوطن، وعلى اعتبار المصالحة الوطنية بين جميع اللبنانيين – على حدّ تأكيده الحرفي الدائم – ركناً مهماً في مسيرة الوفاق الوطني.

غير أنّ الرئيس الياس الهراوي لم يستعد، ولم يشأ أن يستعيد، دولة الكيف ما كان. فهذه الدولة

المستعادة إمّا أن تكون مدنية الطابع أو لا تكون. وهذه الجمهورية إمّا أن تعود ديموقراطية، بنظامها الديموقراطي البرلماني الحر، أو لن تعود أبداً.

لقد تمسّك الياس الهراوي بهذا الخيار القاطع، رغم إدراكه الكامل أنّه الخيار الأصعب، والطريق الوعر الوعر. لكنه من دون ذلك سوف نفقد لبنان بمجرّد أن نجعله من غير روح.

تأبّى الرئيس سلوك الطريق الأسهل، طريق الدولة المستبدّة، الديكتاتورية، التي غالباً ما استسهل الانزلاق إليها، أو الى الحكم العسكري الصريح، عديد من البلدان التي عاشت تجارب مماثلة بل أقلّ بكثير مما عاناه لبنان. فأعادت بناء دولها بالتذرّع بالظروف الاستثنائية، وبتوسّل الإكراه والقمع، وبتعليقٍ للدستور، أو بأحكامٍ عرفية، وسوى ذلك من أشكال الاستبداد المباشرة أو المقنّعة.

غير أنّ لبنان، وفي تبصّر الياس الهراوي ونفاذ وعيه، لا يسعه مطلقاً أن يتحمّل أياً من الصيغ التي تنال من نظامه الديموقراطي البرلماني وتطيحه، وهو الذي في الأصل وبالتعريف بلد الحريات والاعتدال، وموئل التحاور والتخاصب.

إنني هنا لعلى يقين راسخ بأنّ اللبنانيين سوف يحفظون للرئيس الهراوي هذا الإنجاز التاريخي الذي حفظ لبنان بمحافظته على نظامه الديموقراطي البرلماني، أياً تكن الثغرات والشوائب والأخطاء وحتى التجاوزات والمخالفات التي اعتورت صيغ العودة الى ممارسته، مثلما ظهر ذلك في بعض من النصوص التشريعية أو التنظيمية، ولا سيما المتعلّق منها بقانون الانتخاب الذي حظي بنصيب وافر من الانتقادات، والتي لم توفّر كذلك مرسوم التجنيس السيّء الذكر.

لقد كان الرئيس الهراوي أدرى بهذه الثغرات. وهو لم يعف نفسه أصلاً من المسؤولية عن الوقوع في بعض الأخطاء. لكنّه لم يدعها تحجب عن ناظريه حَجم الكوارث المدمّرة إذا ما جرى التخلّي عن الديموقراطية نفسها. عن النظام الديموقراطي البرلماني نفسه ومن أساسه.

أبو جورج ظلّ شاباً، ولم يَشِخْ. لأنّه لم يفارقه الحلم.

أ وَ لم يودّع القصر والمواطنين، وشباب لبنان بخاصة، وفي قلبه غصّة الحلم بقانون اختياري للأحوال الشخصية بما فيه الزواج المدني الاختياري ؟

مرة أخرى، أ وَ ليس الحلم ذاكرة الآتي؟

وإذا بالحلم الذي كان الرئيس الياس هرْاوي رائداً في السعي الى جعله حقيقة، يتحقّق اليوم، بهذا الشأن، في عهد الرئيس ميشال سليمان !

لقد ورد، في أحد المزامير، أن الصديق يظلّ ينمو كالأرز. وهذا الهراوي، رئيساً سوَف يظلّ شجرة وارفة ظليلة وَفيّة للبنانيين، ومسهماً كبيراً في صنع تاريخ لبنان المعاصر.

هل تودّون أن تعرفوا لماذا ؟

اسمعوا هذه الواقعة التي رواها في كتابه (ص ٥٦ – ٥٧) :

«بعد انتخابي (نائباً) قمت بزيارة للرئيس فرنجيه في منزله بإهدن. في الصالون حيث انتظرت

موعدي كان يجلس رجل ضخم الجثة، على رأسه «كاسكيت» بادرني الى القول : «صباح الخير يا بك». رددت التحية وسألته عن هويّته فأجاب : «أنا العميد المتقاعد أنطون سعد. جئت بدون موعد. هل تسمح لي بأن أقابل الرئيس خمس دقائق قبل مقابلتك إياه» ؟

«أجبته أني سأفعل بكل طيبة خاطر، شرط أن تجيبني عن سؤال. قال : «تفضل». قلت : «منذ عام ١٩٦٠ والمكتب الثاني الذي كنت ترأسه أيام الرئيس فؤاد شهاب، يحاربني ويحاول إسقاطي في الانتخابات، وعرقلة أعمالي في مختلف الميادين وأنا حتى اليوم لا أعرف السبب». أجاب وهو يبتسم : «ولو يا بك ؟ سلامة فهمك. نحنا بدنا ردّيدة وأنت قوّال». قلت إنّ حقّي وصلني».

لقد وصلنا حقّنا نحن أيضاً. نحن الذين نتطلّع، اليوم، الى خلاص من خطر كارثي جاثم جديد يُفْرَضُ علينا مرّة أخرى. وإنّ لنا في إرْثِك أيّها القوّال ! الرئيسُ ! اللبنانيّ ! خير مُلْهِمٍ وخير عون.

وفي الختام منحت الهراوي الجائزة الى إده.